١٨- اللعب على المكشوف

كان "سيف جاد" يسعى لكشف الحقيقة بكل عزمه، فتحول منذ الحادثة إلى مخبر سري، وعرف الكثير، وعندما علم أن "فاتن" من منطقة العجمي بمدينة الإسكندرية، ذهب إلى هناك يجمع المعلومات عنها، وعن عشيقها الجديد، وزوجها المحروق، وبعد التحري علم أن ثلاثتهم من تجار المخدرات، وسمعتهم بالغة السوء، ولذا مكث عدة أيام يجمع أخبارهم القديمة بكل تفاصيلها، فالقديم عادة ما يكون محركًا للجديد، ومفسرًا لبعض السلوكيات الغامضة.

أصبح حصيفًا في التحري عندما راح يفتش عن الأخبار بين النسوة الساقطات، فهن مقصد لتجار الصنف، ساقته قدماه نحو بارٍ يقدم الكحوليات، وجلس مع إحدى بائعات الهوى، وراح يصف لها المرأة التي جرته نحو الإدمان، فأخبرته أن تلك الأوصاف لـ"سهام فتحي" بمنطقة العجمي، وأن هذه السيدة كانت تعمل منذ فترة في البارات، ولكنها تحولت إلى سيدة أعمال، وصاحبة معرض الأناقة للملابس الجاهزة بجنوب العجمي.

في عصر اليوم التالى ذهب إلى المعرض، وسأل عنها مدير المعرض فأخبره بأنها خرجت كعادتها تقضي بعض الوقت على مقهى الأمل السياحي، المملوك لزوج أختها على بعد مئات الأمتار، ذهب إلى المقهى يتفحص الحضور، فوجد المرأة التي جرته نحو إدمان المخدرات، إنها "دلال الطويل" التي أغوته، واسمها الحقيقي "سهام فتحي"، فقفز نحوها، وأمسك يدها وجذبها من يدها إلى الخارج، فنهضت معه خوفًا من الفضيحة.

كان المقهى ملك زوج أختها، وخشيت أن يتطور الشجار، فيعرف أهلها أنها من بنات الليل، وخاصة أن خروجها المتكرر، وتغيبها خارج المنزل كان غير مبرر، وكانت توهمهم بأنها تسافر لشراء البضاعة، فإذا طالت فترة الغياب، تخبر أهلها أنها سافرت خارج مصر، وإذا تأخرت لعدة ليال، تخبرهم أنها كانت تتسوق من المدن المصرية الصناعية البعيدة، كانت بشخصيتن، أمام أسرتها سيدة محافظة، وفي الحانات بائعة للهوى.

منذ عقد من الزمن عملت ساقية للخمور، والمشروبات الكحولية في أحد الملاهي السياحية، دون علم أهلها، كانت تخبر أمها الأرملة أنها تعمل ممرضة، حتى تبرر خروجها بالليل، وفي البداية كانت تأخذ نسبة على ما يتم بيعه للزبائن من كحوليات، فراحت تجذب الأثرياء نحوها بجمالها، ومع الوقت تحررت من بقايا عفتها، وأصبحت تقدم نفسها مع المشروبات آخر الليل لمن يدفع جيدًا، وتكمل ما بقي من المساء في شقة هذا، أو فيلا ذاك.

تمرست مع الوقت في انتقاء الزبائن بعناية فائقة، وقد برعت في إفراغ جيوب الرجال من النقود، ولشدة جمالها ذاعت شهرتها بين عشاق الليالي الماجنة، ومع الوقت كونت ثروة معقولة، واشترت محلا كبيرًا من أحد المقاولين في مركز تجاري حديث، وسددت ثمنه بثديها، بأن دفعت بعضًا من ليالي عمرها للمراهق العجوز صاحب العقار، وبعدها فتحت معرض الأناقة لبيع الملابس الجاهزة كستارٍ لما تقوم به.

كانت تعرف أن تجار المخدرات هم أكثر من يدفعون المال للبغايا، فكانت بقوة حدسها تشم رائحتهم، وتعرفت على "دياب النمر" في إحدى ليالى الخريف منذ عدة أعوم بأن قضت معه عدة ليال، وبعدها تكررت اللقاءات حسب الهوى، وكان يتفاءل بها، ويثق في قدرتها على الفتك بالرجال، ولذا كان يرسلها أحيانا كهدايا لأصدقائه من أصحاب النفوذ في مجاله، وسبق أن أرسلها "لفهد السكران" عم زوجته عدة مرات، وكان يدفع لها بسخاء، مما يجعلها تنفذ ما يريد دون تفكير.

تحركت "سهام فتحي" مع "سيف جاد" وهي ترتجف، خوفًا من فضح شخصية "دلال الطويل" المرأة اللعوب والمزيفة، كانت تمشي بجواره مرعوبة، وانحنت تقبل يده على قارعة الطريق، تطلب منه السماح، مقابل البوح بكل ما تعرف، فقد ظنت أنه يقصدها للانتقام منها.

ذهبا معًا إلى أول كافتريا جانبية مرا عليها، وجلست تقص عليه ما تعرف، فأخبرته بكل ما حدث منذ أن جرته نحو إدمان الهيروين حتى اليوم، وما علمته عن تجار الكيف وخلافاتهم القديمة، امتلأ صدره بالغضب منها، ومن "دياب النمر"، الذي حرضها لجره نحو طريق الضياع، وظل يسألها وهي تجيب، مذعورة كالفأر، توسلت إليه كي يسامحها، ولا يفضح أمرها عند أهلها، وبكت أمامه نادمة على ما حدث، وأقسمت له أنها منذ أن عادت من شرم الشيخ وهي تلعن نفسها على ما حدث منها، نظر إليها ونهض واقفًا:

سيف جاد: تعلمت من "غريب" أن العفو عند المقدرة من شيم الكرام، ولذا لن أفضحك، لعلك تعودين يوما ما إلى رشدك وتطهري نفسك كما طهرت أنا نفسي، لقد جئت إلى هنا لهدف محدد، وقد أنجزته.

تركها ، وعاد إلى القرية في المساء، ومعه مفاتيح الماضي. لم ينتظر قدوم الصباح، وهرول نحو المزرعة يفحص الصور التي التقطتها الكاميرات يوم الحادث من على بوابة المزرعة، فإذا بصورة الرجل الذي خدّر الحارس بالطعام قريبة الشبه من صورة "سرحان الأعسر"، بل هي، فقد تأكد من ذلك عندما دقق في العلامة السوداء التي فوق أنفه بين الحاجبين، بعدها بدأ يفحص باقي الصور فوجد تسجيلا لـ"فاتن" وهي تهدد "غريب" ففرح بذلك أشد ما يكون الفرح، فهذه الصور سوف تقود إلى فتح التحقيق من جديد.

ومع بداية الشروق جمع الأدلة المصورة على أسطوانة ووضعها في مكان أمين، بعد أن سجل نسخة منها على الهاتف، وذهب بها إلى "فاتن" يساومها على تصحيح جريمتها، بدفع ثمن المواشي التي قتلتها، ولكنها في البداية صرخت في وجهه، واتهمته بالجنون وهمت بطرده.

ولكنه أخرج لها النسخة المسجلة على هاتفه، وطلب منها التريث حتى تشاهدها، أخذت الهاتف لترى وتسمع، فبهتت مما رأت، فجذب الهاتف منها، وعاد يكرر وعيده وتهديده لها، حاولت شراء سكوته:

- فاتن: سوف أمنحك بعضًا من المال مقابل مسح هذه الصور للأبد.

- سيف: وأقضي ليلة معك.!

- فاتن: ولك ليلة .

- سيف: أخرسي يا فاجرة.

انفجر سيف يضحك بسخرية وغيظ يزجرها، ويسبها بأبشع الألفاظ، فقد كان غيظه منها ومن زوجها كالنار التي تشوي الصدور، وطلب منها أن تحرر شيكًا بثمن المواشي، وأن تبتعد عن غريب نهائيا، وإلّا سوف ينشر هذه الصور على "الفيس بوك"، ويرسلها للنيابة العامة، ونظراً لخوفها من الفضيحة، والمحاسبة القانونية حررت له شيكًا بثمن المواشي النافقة مذعورة، فخرج من عندها مسرعًا وصرف الشيك، وذهب بالمال إلى تاجر المواشي، وأعطاه المال على أن يدبر مائة رأس خلال أسبوع، وفي اليوم التالي أرسل التاجر عشرين رأسا إلى المزرعة، وسط ذهول الجميع، حتى تم اكتمال العدد في خلال خمسة أيام.

كانت المفاجاة سارة بالنسبة لـ"غريب" وخاصة بعدما علم أن "سيف جاد" قد سلم الصور المسجلة إلى النيابة العامة مع ما جمعه من أخبار حول تجارتهما في المخدرات، فُوضعت المجرمة وعشيقها تحت المراقبة.

وفي نهاية الأسبوع طلب وكيل النيابة من "سيف جاد" نشر اللقاء المسجل لـ"فاتن" وهي تغوي "غريب" بسهرة حمراء حتى تحدث الوقيعة بين المجرمين، وتربكهما، وتخرجهما عن التوازن، فيسهل اصطيادهما، وفعل "سيف جاد" ما طلبته النيابة، ونشر كل الحكاوي القديمة، موضحاً من هو صاحب المصلحة في حرق العمدة حيًا.

انتشر اللقاء المسجل على صفحات "الفيس بوك"، وضجت القرية من جرأة الفاجرة، وتحركت عائلة "دياب النمر" لتثأر لشرفها المذبوح، جراء ما تناقله

الناس بالأمس القريب حول قضائها ليلة في غرفتها مع رجل متهم بقتل زوجها، علاوة على ما شاهدوه من لقاء مصور، وهي ترواد الفتى "غريب" عن نفسها، تدحرجت الأخبار فوصلت إلى الجميع، واتهموها بالمشاركة في حرق العمدة حيًا، أو التستر على الجاني، ساد الهرج والمرج أنحاء القرية، وتجمع الناس بالمشاعل والعصي، والفؤوس للانتقام من الفاجرة.

ضرب الذعر قلب "فاتن" عندما شاهدت أمواجًا من البشر تتجمع حول منزلها، فطلبت رفيقها الشيطان "سرحان الأعسر" في الهاتف للمساعدة، لأن القرية قد ثارت عليها، وربما يحرقون المنزل، ومن حسن حظها أنها كان في الطريق إليها، وقريب من القرية، وكان غاضبًا منها، بسبب ما شاهده على صفحات الفيس بوك، فرد عليها يسب خيانتها له، وميلها نحو رجل آخر، فردت عليه:

- فاتن: لا تلمني يا سرحان، ليس هذا وقت اللوم.

- سرحان: تخدعيني حتى أسمم المواشي، بسبب رغبتك في غريب، لقد أصبحت كالحمار تقفزين من فوقه إلي رجل آخر.

- فاتن: عليك أن تنسى هذا وتأتي لإنقاذي فورا.

- سرحان: كيف أنسى الخداع ؟

- فاتن: كما نسيت أنا، ألم تحرق زوجي في السابق؟

- سرحان: كان ذلك من أجلك.

- فاتن: أرجوك تعالى اليوم أيضًا من أجلي، وسوف أكون لك فقط.

- سرحان: أخرجي من الباب الخلفي نحو الطريق الخارجي، وسوف أصل بعد دقائق للفرار بك من القرية.

سجلت النيابة المكالمة الصوتية السابقة، وغيرها من مكالمات، وامتلكت الدليل على جرائم "سرحان الأعسر"، في قتل "دياب النمر" بالاعتراف، علاوة على جرائم الاتجار بالمخدرات، والاشتراك مع "فاتن" في جريمة إتلاف ممتلكات

الغير، وقتل المواشي بالمزرعة، وبعد أن لف الاثنان الحبل حول رقبتهما، كانت الشرطة تستعد لضبطهما، والقبض عليهما، وتقديمهما للمحاكمة.

خرجت "فاتن" من منزلها بسرعة، للهرب من الجموع التي جاءت للانتقام منها، وتركت ولديها من خلفها بالمنزل مع الخادمة، فلا خوف عليهما، لأنها كانت تعلم أنها المقصودة فقط، تسللت مذعورة ذليلة بفعلتها، وسقطت عنها الهيبة المزيفة التي طالما رُسمت على جبينها بالباطل، وبهت لونها، فأصبحت ملامحها كالحة، ووجها أصفر، وعيونها زائغة، كانت تجري حتي وصلت الطريق المؤدي إلى خارج القرية، ووقفت تراقب الطريق، وتتلصص النظر من خلف شجرة تنتظر قدوم رفيقها المجرم، وبعد دقائق وصل، فركبت معه، ولكن سيارة الشرطة كانت على مقربة منهما تلاحقهما، فارتد "سرحان الأعسر" في الطريق العكسي يسير بسرعة جنونية، للإفلات من الكمين، فإذا بصوت مكبر الصوت ينادي عليه:

- الصوت: توقف يا سرحان الطريق كله تحت السيطرة، ولا داعي للمقاومة، سلِّم نفسك، وإلّا سوف يتم التعامل معك بالذخيرة الحية.

نظر نحو "فاتن" يخاطبها:

- سرحان: يبدو أننا مراقبان، فقد نُصب لنا كمين شديد الإحكام، وسجلت كل اتصالاتنا في الهاتف.

-فاتن: لقد ضعنا ياسرحان.

- سرحان: لن نستسلم لهم، وسوف نتمكن من الهرب.

- فاتن: كيف نهرب والطريق كله عساكر، والأكمنة كثيرة، والشرطة تتبع خطواتنا.

- سرحان: سوف أسلك الطرق الجانبية، فأنا أعرف كل المسالك، وسوف نهرب خارج مصر، عندي أرصدة مالية بالخارج تكفينا طوال العمر.

وانطلق "سرحان" يقود السيارة بسرعة البرق، ويرواغ قوات الشرطة،

والتي أحجمت عن إطلاق الرصاص الحي، حتى لا تصيب الرصاصات المارة بأذى، ففلت المجرم هاربًا من الكمين.

وبعدها باتت قرية "كفر الهـوى"في سعادة بالغة، لرحيل المجرمين، ولخلاصها من بؤرة الشر، أما ولدي "فاتن" انتقلت مهمة رعايتهما إلى عمهما "أبو المجد" وكان رجلاً فقيرًا، ذا همة وخلق، على عكس أخيه، "دياب النمر" الذي قطع علاقته به وبأهله بسبب فقرهم، وإرضاءً لزوجته الفاجرة، وبعد هروبها تدخل أهل القرية عنده، وألزموه برعاية الصغار حتى يكبروا، فوافق على ذلك.

كانت القلوب قد تحولت بالحب نحو "سيف جاد"، بسبب كشف خيوط الجريمة، ووفائه لصديقه، فارتفع قدره بين الناس، وتوطدت علاقته بالجميع، وأصبح رجلاً مرحبًا به في كل البيوت، أصبح شخصًا جديدًا، ينشر الخير في كل مكان يذهب إليه، وبعد أن طلق شرور "الفيس بوك" بات لا ينشر إلّا الحقائق، فتعلقت به قلوب الكثيرات من البنات، كفارس لأحلامهن، وخاصة "أحلام" ابنة خال "غريب"، وراحت تداعبه على صفحات الفيس بوك بكلام رقيق لعله يستجيب لها، وقد شعر بميلها إليه، وبدأ يفكر فيها لعلها تكون زوجته عندما يحين موعد الاستقرار، وقد أرجأ الفكرة مؤقتًا حتى يعود إلى عمله في البنك، وقد رفع دعوة قضائية بذلك، وطمأنه المحامي بأنه سوف يعود إلى عمله عما قريب.